

دراسة تفسيرية تحليلية



لقوله تعالى: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

إعداد

د.غمدان أحمد رزق الشيخ

دراسة تفسيرية تحليلية

لقوله تعالى: وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)

(سورة الإنفال)

إعداد

د.غمدان أحمد رزق الشيخ

المبحث الأول : الجنح في اللغة.

المبحث الثاني : السلم في اللغة.

المبحث الثالث: تفسير الآية.

المبحث الرابع : أحكام السلم والحرب والمهادنة.

الخاتمة.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلي الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

قد سمى الله بالقرآن، والفرقان، والعظيم، والعزيز، والحكيم، والروح، والكريم، والنور، والهدى، والتذكرة، والذكرى، والرحمة، والشفاء، والكتاب المبين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، والحق اليقين، والقصص الحق، والموعظة الحسنة، والآيات البينات، والمتبينات، والبيان، والتبيان، والبينة، وحبل الله، وصراط الله، فِي غيرها من الأسماء العلية والصفات الجلية. ونوه بذكر حملته من حفظته، ورفع من شأنهم، فَقَالَ عزَّ وجلَّ من قائل: {كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} [آل عمران: ٧٩].

السلم الاجتماعي هدف أساسي في حياة المجتمعات وقد سعى القران الكريم لتثبيت مبدأ السلم ، من ذلك الآية {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٦١) (سورة الإنفال). في الآية سلم فيه العزة ، فيه الحياة ، فيه العدل ، وكما قال : العلامة بن بيه خلاصة في السلام (إطفاء الحريق) . وهي تعني الوقف للحرب لأن النظر في سبب الحرب يطيلها ، كما أن النظر فيمن قام بالحريق يطيل وقت الحريق حتى يهلك من حوله ، وهو ما أشارت له الآية (فاجنح لها).

المبحث الأول

تعريف جنح

(ج ن ح) قَوْله جنح اللَّيْل يُقَال جنح اللَّيْل يجنح إِذا أقبل وَذَلِكَ حِين تغيب الشَّمْس وَمِنْه قَوْله إِذا استجنح أَو قَالَ جنح كَذَا لكافتهم وَعند النَّسَفِيّ والحموي وَأبي الْهَيْثَم أَو كَانَ جنح اللَّيْل وَيُقَال جنح اللَّيْل مَال وجنح اللَّيْل وجنحه بِالْكَسْرِ وَالضَّم حِينَئِذٍ وَقَوله لَا جنَاح أَي لَا إِثْم وَلَا تضييق وَمِنْه هَل على جنَاح وَجَنَاح الْإِنْسَان عضده وإبطه قَوْله وجنح فِي سُجُوده ويجنح إِذا رفع عضديه عَن إبطَيْهِ وذراعيه عَن الأَرْض وَفرج مَا بَين يَدَيْهِ ورويناه عَن السَّمرقَنْدِي يجنح مخففا وَهُوَ خطأ[1].

(ج ن ح) : جنح إلى الشيء يجنح بفتحتين وجنح جنوحا من باب قعد لغة مال وجنح الليل بضم الجيم وكسرها ظلامه واختلاطه وجنح الليل يجنح بفتحتين أقبل وجنح الطريق بالكسر جانبه وجناح الطائر بمنزلة اليد من الإنسان والجمع أجنحة[2].

ويقال جَنَحَ يَجْنَحُ ويَجْنُحُ: إذا مال، ومَخَضَ اللبن يَمْخَضُهُ ويَمْخُضُهُ ويَمْخِضُهُ، وأَنَحَ يَانِحُ ويَانُحُ وهو مثل الزَّفير والزَّحير وزَحَرَ يَزْحِرُ، ونَحَتَ يَنْحِتُ[3].

ج ن ح: (جنح) مال، وبابه خضع ودخل و (جنوح) الليل إقباله. و (الجوانح) الأضلاع التي تحت الترائب وهي مما يلي الصدر كالضلوع مما يلي الظهر الواحدة (جانحة) . و (جناح) الطائر يده وجمعه (أجنحة) . و (الجناح) بالضم الإثم. و (جنح) الليل بضم الجيم وكسرها طائفة منه[4].

[الجُنْح]: جُنح الليل: الطائفة منه، لغةٌ في جِنْح[5].

---

[1] مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١/١٥٥.

[2] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١/١١١.

[3] المنتخب من غريب كلام العرب ١/٥٥٣.

[4] مختار الصحاح ١/٦٢.

[5] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٢/١١٨٠.

الجِنْحُ: الناحية.-: الكنف؛ هو في جِنْح الله، أي في رحمته وحفظه.- والجُنْحُ من اللَّيل: طائفة منه؛ لم يصل إلى داره إلا بعد مضيّ جُنْح (بضم الجيم أو كسرها) من اللَّيْلِ/ جِنْحُ الليل، هو ظلامه واختلاطه؛ لم يتبيَّن هُوِيَّة القادم في جِنْح الليل.- من الطريق: جانبه؛ تَوَخَّ في سيرك جِنْحَ الطريق.

الجُنْحَةُ: الجريمة التي يعاقب عليها القانون وتُعَدُّ من حيثُ جَسامتها فوق المخالفة ودون الجناية؛ الجنحة فعل غير مشروع توافرت فيه نيَّة الإِجرام[٦].

---

[٦] المعجم المحيط ٢٥٠٣/١.

المبحث الثاني

السلم في اللغة

(س ل م) قَوْله فَأَخذهُم سلما بِفَتْح السِّين وَاللَّام كَذَا ضَبطه بَعضهم وضبطناه عَن الْأَكْثَر بِسُكُون اللَّام وَالْأول أشبه وَمَعْنَاهُ أسرى وَالسّلم بِالْفَتْح الْأَسير لِأَنَّهُ أسلم وَترك وَأما السّلم بِسُكُون اللَّام وفتح السِّين وَكسرهَا فَالصُّلْح وَكَذَا السَّلَام وَقَوله أقدمهم سلما أَي إسلاما وَالسّلم فِي البيع السّلف بِالْمِيم وَالْفَاء مَفْتُوح اللَّام بِمَعْنى وَهُوَ مَذْكُور فِي الحَدِيث وَهُوَ تَقْدِيم رَأس المَال فِي مَضْمُون مَوْصُوف إِلَى أجل مُشْتَقّ من الدّفع وَالتَّسْلِيم يُقَال فِيهِ أسلم وَسلم وأسلف وَسلف وأرهن كُله بِمَعْنى وَالسَّلَام اسْم من أَسمَاء الله تَعَالَى قيل مَعْنَاهُ ذُو السَّلامَة أَي من كل عيب وَنقص وَهُوَ اخْتِيَار ابْن فورك وَغَيره وَقيل الَّذِي سلم عباده من ظلمه حَكَاهُ الْخطابِيّ وَقَالَ الْحَرْبِيّ مَعْنَاهُ مُسلم عباده من هَلَاكه وَقَالَ الْقشيرِي مُسلم الْمُؤمنِينَ من عَذَابه قَالَ وَقيل الْمُسلم على عباده بقوله وَسَلَام على عباده الَّذين اصْطفى أَي ذُو السَّلَام وَقيل الْمُسلم على الْمُؤمنِينَ فِي الْجنان بقوله سَلام قولا من رب رَحِيم وَأما السَّلَام من الصَّلَاة وَالسَّلَام من التَّحِيَّة فَقيل معنى ذَلِك السَّلامَة لَك وَلكم وَالسَّلَام والسلامة[7]

قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ} ([8]). فالسِّلْمُ: هو الإسلام، ويقال: الإسلام دَرَجتُه دون دَرَجة الإيمان، فكيف خاطبَهم بالإيمان، ثم أَمرَهم بالدخول في الإسلام؟ قيل: نزلت في مُؤمِني أَهلِ الكتاب كانوا قد آمَنُوا ولم يَترُكوا أَعمالَ اليهود، فأُمِروا أن يَدَعُوا ما سِوَى دِين الإسلام، وأن يَدخُلوا في موافقة المسلمين، والله تعالى أعلم[9].

(سلم) السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية ; ويكون فيه ما يشذ، والشاذ عنه قليل، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى. قال أهل العلم: الله جل ثناؤه هو السلام ; لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء.

---

[7] مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢/٢١٧.

[8] سورة البقرة: ٢٠٨, الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}.

[9] المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٢/١٢٠.

قال الله جل جلاله: {والله يدعو إلى دار السلام} [يونس: ٢٥] ، فالسلام الله جل ثناؤه، وداره الجنة. ومن الباب أيضا الإسلام، وهو الانقياد ; لأنه يسلم من الإباء والامتناع. والسلام: المسالمة. وفعال تجيء في المفاعلة كثيرا نحو القتال والمقاتلة. ومن باب الإصحاب والانقياد: السلم الذي يسمى السلف، كأنه مال أسلم ولم يمتنع من إعطائه. وممكن أن تكون الحجارة سميت سلاما لأنها أبعد[١٠]

---

[١٠] معجم مقاييس اللغة ٣/٩٠.

المبحث الثالث

تفسير الآية

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ} [الأنفال: ٦١] وقيل للأضلاع: جوانح؛ لاعوجاجها. قال ابن دريد: معنى {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} أي: لا ميل إلى مأثم. وجناح الطائر من هذا؛ لأنه يميل في أحد شقّيه، ليس على مستوى خلقته، فمعنى الجناح: الميل عن الحق.

وقال أبو علي الجرجاني: معنى {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ} أينما ذكر في القرآن: لا ميل لأحد عليه بمطالبة شيء من الأشياء، هذا هو الأصل، ثم صار معناه: لا حرج عليه، ولا ذنب عليه[١١].

قرأ ابن كثير ونافع والكسائي بفتح السين هنا، وفي قوله: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ} [الأنفال: ٦١] وقوله: {وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ} [محمد: ٣٥]، وقرأ عاصم في رواية شعبة بكسر السين في الثلاثة، وقرأ حمزة بكسر السين هنا وفي سورة محمد، وفتح التي في الأنفال، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحفص، عن عاصم بكسر السين هنا، وفتحوا الأخريين[١٢].

ولما كان السلم هو المقصد الأول لا الحرب .. أكده بقوله: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ}؛ أي: وإن مال العدو عن جانب الحرب إلى جانب السلم والصلح ولم يعتز بقوته .. {فَاجْنَحْ لَهَا}؛ أي: فمل إليها واقبلها منهم؛ لأنَّك أولى بالسلم منهم[١٣].

خرج الطبري بسنده الصحيح عن قتادة: (وإن جنحوا للسلم) قال: للصلح، ونسخها قوله: (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) سورة التوبة: ٥. أخرج الطبري بسنده الصحيح عن السدي: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) وإن أرادوا الصلح فأرده. أخرج الطبري بسنده الصحيح عن مجاهد (وان يريدوا أن يخدعوك) قال: قريظة[١٤].

---

[١١] (٢) ينظر في معنى الجناح: "تفسير الطبري" ٢/ ٤٥، الثعلبي ١/ ١٢٨٩، "أحكام القرآن" لابن العربي ١/ ٤٦، "المفردات" ص١٠٧، "تفسير القرطبي" ٢/ ١٦٦، "اللسان" ٢/ ٦٩٧ - ٦٩٨ (جنح).

[١٢] ينظر: "السبعة" ص ١٨٠ - ١٨١، "الحجة" ٢/ ٢٩٢.

[١٣] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ١١/٦٣.

[١٤] موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ٢/٤١٦.

فقه الحياة أو الأحكام:

دلت آية وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ على الأمر بقبول عقد الصلح والمهادنة أو المسالمة إن مال إليه العدو، وعلى الأمر بالتوكل على الله، أي تفويض الأمر فيما عقد من صلح إلى الله، ليكون عونا على السلامة، والنصر عليهم إذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء. ونبه تعالى في آخر الآية بقوله: إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ على الزجر عن نقض الصلح لأنه تعالى عالم بما يضمره العباد، وسامع لما يقولون. وفي هذا دلالة واضحة على أن الإسلام يؤثر السلم على الحرب، ويوجب [١٥].

[١٥] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ١٠/٦٠.

المبحث الرابع

أحكام السلم والحرب والمهادنة

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} وقد أمر الرسول –صلى الله عليه وسلم– المسلمين في حروبهم ألا يقتلوا شيخا ولا طفلا ولا امرأة، وأن يصونوا لأهل الذمة كنائسهم ومعابدهم، وأن تترك لهم الحرية في ممارسة عباداتهم، وجاء الخلفاء الراشدون من بعده فحافظوا على عهده ومبادئه، وليس هناك من ينكر موقف عمر بن الخطاب من أهل بيت المقدس، فقد "أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم, لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم"[١٦]

قال الله تعالى : {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} الأنفال :٦١

فالسلامُ هو غايةُ هذا الدين الحقّ ، بل أَحَدُ أركانِه الكبرى ، وخَصِيصَةٌ من خصائصها التي بها عُرِفَ ، وهو دون غيره حَقَّقَها على أرض الواقع في ماضيه المشْرِق ، وسَيُحقِّقُها – إن شاء الله – في قادمات الأيام يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وهذا – أيْ السلامُ – هو البُعْدُ الإنسانيُّ في ديننا الإسلامي الحنيفِ ، نَادَى به في نصوصه ، وعمل به أنصارُه وأتباعُه ؛ منذ فجر الإسلام إلى عصرنا هذا ، ولا والله ما نادى الإسلامُ ولم ينادِ يوماً بإرهابٍ للناسِ وترويعٍ لهم ، ولا كان العربُ المسلمون في ماضيهم وحاضرهم ومُسْتَقْبَلِهِم يوماً مُرَوِّعين، بل كانوا رحمةً للناس ، وبركةً على الدنيا، وحَسْبُكُمْ أن الرسول الأعظم محمداً – صلى الله عليه وسلم – قال فيه الله – عز وجل – : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }]الأنبياء :١٠٧[١٧].

[١٦] انظر سيرة ابن هشام. وتاريخ الطبري وفتوحات الشام للواقدي.

[١٧] مناهج الحرية في الحضارة الإسلامية الحرية الدينية ١/١٦.

المؤلف: أ. د.محمد عبد اللطيف صالح الفرفور الحسني.

السلم

١. حالة من الهدوء والاستقرار.

٢. غياب الصراع والعنف.

٣. تعايش سلمي بين الدول أو الجماعات.

٤. تحقيق الاستقرار والسلام.

الحرب

١. صراع مسلح بين الدول أو الجماعات.

٢. استخدام القوة للتحكم أو الاستيلاء.

٣. تدمير وتخريب البنية التحتية.

٤. خسائر بشرية ومادية.

الفرق بين السلم والحرب

١. الهدوء مقابل العنف.

٢. الاستقرار مقابل الاضطراب.

٣. التعاون مقابل الصراع.

٤. السلام مقابل الدمار.

أهمية السلم

١. تحقيق الاستقرار الاقتصادي.

٢. تعزيز التنمية.

٣. الحفاظ على الحقوق الإنسانية.

٤. تعزيز التعاون الدولي.

أسباب الحرب

١. الصراع على الموارد.

٢. الخلافات السياسية.
٣. الاختلافات الدينية أو العرقية.
٤. التوسع الإقليمي.

كيفية تحقيق السلم

١. الحوار والتفاوض.
٢. تعزيز التعاون الدولي.
٣. حل النزاعات سلمياً.
٤. تعزيز التوعية والتعليم.

السلم الاجتماعي

تعريف السِّلم الاجتماعي يمكن تعريف السلم الاجتماعي على أنه وجود علاقة جيدة وقوية بين الشعب والدولة والجماعات المجتمعية المختلفة، وعندما يثق الشعب بأن قرارات الدولة عادلة ويتم اتخاذها من خلال أسس سليمة وجيدة، حتى ولو لم تنفعهم بشكل مباشر.

أهمية السلم الاجتماعي

يعد السلم الاجتماعي من ضروريات الحياة منذ بدء الخليقة إلى اليوم الحالي، وذلك بسبب العديد من الفوائد التي يقدمها السلم على الأفراد والمجتمعات، وتبرز أهمية السلم الاجتماعي في عدة جوانب، منها: غياب العنف والصراع والحرب والخوف لدى شرائح المجتمع المختلفة. وجود مواطنين صالحين منتظمين بأنظمة الدولة وقواعدها. تحقيق الوحدة والتعاون بين أفراد المجتمع. تطور المجتمع وتقدمه وازدهاره. زيادة مستويات الإستقرار للمواطنين. وسيلة للحفاظ على الحياة الاجتماعية في معزل عن الصراع الداخلي. حل سليم للنزاعات والصراعات الناتجة عن الاختلافات والتوترات الاجتماعية.

أركان السلم الاجتماعي:

لقيام السلم الاجتماعي بشكل صحيح، لا بد أن تتوافر فيه مجموعة من الأركان التي تدعمه ويقوم عليها،

ويمكن تلخيص أركان السلم الاجتماعي في ٨ نقاط

وهي: حكومة جيدة تعمل لخدمة الشعب،

فالحكومة التي تعمل لخدمة الشعب بشكل فعال يتم تقدير جهودها من قبل المواطنين مما يولد الثقة بين أفراد المجتمع والحكومة.

بيئة عمل سليمة، سواء أكانت مؤسسات حكومية أم خاصة، فإن بيئة العمل الجيدة والظروف الاقتصادية الجيدة تساعد في بناء دول سلمية.

توزيع عادل للموارد، لا يمكن قيام مجتمع سلمي بدون توزيع عادل للمواد بين أفراده قبول حقوق الغير ويجب على الدولة أن تسن القوانين التي تضمن حقوق جميع أفراد المجتمع، وعلى أفراد المجتمع تقبل حقوق الآخرين. بناء علاقات جيدة مع الدول المحيطة، فالدول التي ترغب بأن تحافظ على سلامها لا بد لها من أن تشكل علاقات جيدة وسلمية مع الدول المحيطة بها. التدفق الحر للمعلومات، فنشر المعلومات بطريقة صحيحة وسلمية يؤدي إلى زيادة معرفة الأفراد بمشاكل المجتمع ورفع القدرة على حل هذه المشاكل. وجود رأس مال كافٍ، يجب أن يكون رأس مال المجتمع كافيًا لرعاية الشباب وتعليم المواطنين والعديد من الخدمات التي تسهم في جعل المواطنين صالحين. عدم وجود الفساد أو مستوياته منخفضة فالفساد يفسد المجتمعات ويبعدها عن سلميتها.

الحكم بما أنزل الله والأخذ بالشورى والالتزام بالعدل

إن الله سبحانه وتعالى قد أنزل الشريعة التي يحتكم إليها المسلمون في جميع شئونهم الخاصة والعامة، ولم تترك الشريعة أمرًا من الأمور إلا أحاطت به سواء ما يخص علاقة الفرد بذاته, أو علاقة الفرد بغيره من الأفراد، أو علاقة الفرد بأسرته أو بمجتمعه بما فيه من مؤسسات، أو علاقته بالمجتمعات الأخرى مسلمة أو غير مسلمة. وبينت للناس شئونهم في السلم والحرب. وفي الرخاء والشدة، ووضعت الحدود لكل فعل. كما أوضحت الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم. وما ينبغي أن يسود المجتمع المسلم من علاقات، إلى غير ذلك مما لا يمكن حصره[18].

التطبيقات العملية للعلاقات الدولية في حالة السلم والحرب:

أولاً: في حالة السلم:

يحرص الإسلام كل الحرص على الحفاظ على الأمن والامان، والسلام، وعلى العهود والمواثيق التي تمت بين دولة الإسلام، او المسلمين، وبين غيرهم دولاً وأفراداً، فجاءت مجموعة من النصوص الصريحة تأمر بالوفاء بالعهود والعقود والمواثيق، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) ([19]) وقال تعالى: (وأوفوا بالعهد إن العهد كان عنه مسؤولاً) ([20]) وجعل الوفاء بالعهود والمواثيق من صفات المؤمنين، ونقضها من صفات الكفرة والمنافقين فقال تعالى في وصف المؤمنين المصلحين: (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) ([21])،

---

[18] الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية ٢٧٦/١.

المؤلف: محمود أحمد شوق

ط: دار الفكر العربي.

[19] سورة المائدة/ الآية (١)

[20] سورة الإسراء/ الآية (٣٤)

[21] سورة المؤمنون/ الآية (٨)

بل إن القرآن الكريم لا يجيز للدولة المسلمة نقض العهد مع دولة غير إسلامية بينها عهود ومواثيق ما دامت لم تنقض عهدها.

وقد تضمنت الآيات العشرون (٥٥ – ٧٥) من سورة الأنفال التي هي من أواخر السور التي نزلت على الرسول الكريم صورة واضحة للعلاقات الخارجية بين الدولة المسلمة وما حولها من الدول والطوائف والمعسكرات، حيث تقرر إمكان إقامة عهود تعايش بين المعسكرات المختلفة ما أمكن أن تصان هذه العهود من النكث بها مع إعطاء هذه العهود الاحترام الكامل والجدية الحقيقة ([٢٢]٤) وذلك من خلال المفاهيم الآتية:

١ . وجوب صون العهود والمواثيق من النقض والنكوث حيث سمى الناكثين بشر الدواب، فقال تعالى:، وان شرّ الدواب هم الذين نقضوا عهودهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ . وأن الدولة المسلمة التي لها عهد مع أناس آخرين إذا خافت من خيانتهم فإنها تنبذ إليهم عهدهم، وتخبرهم بذلك، ولا تخونهم، لأن الله تعالى لا يحب الخائنين، فالإسلام يريد من العهد الصيانة، ومن العقد الحفاظ عليه، ومن المواثيق الالتزام بها، فإذا وجد المقابل لا يحافظ على عهد، ولا يفي بعقده بل من طبعه الخيانة والمكر، فإن المسلمين لا يجوز لهم أن يقابلوا خيانتهم بخيانة، ونقضهم بنقض، بل يصارحونه، ولذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة، ويرتقي بهم إلى آفاق الأمن والطمأنينة والاستقرار، وعدم الخوف من الإغارة والخيانة.

٣ . ضرورة إعداد القوة حتى لا يطمع الأعداء في الدولة الإسلامية، وهذه تسمى في الوقت الحاضر نظرية القوة الرادعة.

٤ . وأنهم إذا جنحوا للسلم فعلى الدولة الإسلامية أن تختار خيار السلام مع التوكل على الله: (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) ([٢٣]).

---

[٢٢] سيد قطب: في ظلال القرآن، ط. دار الشروق (٣/ ١٥٣٩)

[٢٣] سورة الأنفال / الآية (٦١).

وقد شدد القرآن الكريم في ضرورة الأخذ بالسلام العادل والجنوح له حتى ولو مع الخوف من الخيانة قال تعالى: (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) ([٢٤]).

٥ . ضرورة توفير الهيبة لهذا الدين، والإرادة القوية، والاستعداد الدائم المستمر لحماية الأمة، وليست للاعتداء لأن الله لا يحب المعتدين.

٦ . ضرورة التأكيد على مبدأ الموالاة في مقابل موالاة الكافرين بعضهم لبعض، فلا ينبغي للأمة المسلمة أن تبقى متفرقة ممزقة، وعدوها متحد يرميها من قوس واحدة، وأن الفتنة كل الفتنة هي أن لا يستوعب المسلمون قضية الولاء (إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) ([٢٥]).

٧ . هؤلاء الذين لا يستطيع أحد ان يطمئن إلى عهدهم وجوارهم وشرورهم، جزاؤهم تخويفهم، والضرب على أيديهم بشدة حتى يتركوا هذا الصنيع الفاحش.

٨ . وجوب قيام العلاقات على الصراحة وحماية العهود والمواثيق، ونبذ الخيانة، والميكافيلية، يقول سيد قطب: (إن الإسلام يريد للبشرية أن ترتفع، ويريد للبشرية أن تعف، فلا تبيح الغدر في سبيل الغلب، وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد، ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة، إن الإسلام يكره الخيانة، ويحتقر الخائنين الذين ينقضون العهود، ومن ثم لا يحب للمسلمين أن يخونوا أمانة العهد في سبيل غاية مهما تكن شريفة، إن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ، ومتى استحلت لنفسها وسيلة خسيسة فلا يمكن أن تظل محافظة على غاية شريفة، وليس مسلماً كاملاً من يبرر الوسيلة بالغاية، فهذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية) ([٢٦]).

---

[٢٤] سورة الأنفال/ الآية (٦٢).

[٢٥] سورة الأنفال/ الآية (٧٣).

[٢٦] سيد قطب: في ظلال القرآن (٣/ ١٥٤٢).

٩ . من دلائل حفاظ المسلمين على عهودهم مع غيرهم أن بعض المسلمين الذين لم ينضموا إلى الدولة الإسلامية لو استنصروا بها في الدين فعليها النصرة على شرط ألا يخل هذا بعهد من عهود المسلمين مع المعسكر الآخر حتى ولو كان هذا المعسكر معتدياً على أولئك الأفراد في دينهم وعقيدتهم فقال تعالى: (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلاّ على قوم بينكم وبينهم ميثاق) (٢٧).

ثانياً: في حالة الحرب:

من المعلوم أن الحرب المشروعة في الإسلام هو الجهاد في سبيل الله، وهو لأجل إعلاء كلمة الله، وليس لأجل أي غرض دنيوي، ولذلك فهو ديني اخلاقي في نظر الإسلام، وهو فيحقيقته دفاع ـ بمعناه الواسع ـ عن الدين، والوطن[٢٨].

تحليل لسلم والشراكة في مقال للعلامة عبدالله بن بيه[٢٩]

إذا كان انتماء الأفراد إلى الجماعة يعد عاملا قويا في تهذيب أخلاقهم، والتخفيف من عنفوان غرائزهم وأنانيتهم؛ فإن ذوبانهم في ''جماعة ضيقة''، وشدة تعصبهم لها، على حساب انتمائهم الانساني العام؛ قد يحولهم إلى أدوات للقتل والعنف

في يد هذه الجماعة بسبب انصهارهم في نظامها الاجتماعي الصارم، وما لديها من تاريخ وأنساق وتصورات، واعتقادهم أن جماعتهم هي الافضل بين الجماعات؛ وأن نظامها الاجتماعي هو معيار الحق الذي يتعين على البشرية أن تتبعه، وأن أفضليتها المتخيلة تبيح لها السيطرة على المجموعات الأخر ى المختلفة عنها دينا او لغة أو انتماء أو تفكيرا .

---

[٢٧] سورة الأنفال/ الآية (٧٢)

[٢٨] يراجع: الإسلام والقوة، بحث لنا منشور في مجلة مركز بحوث السنة والسيرة.

[٢٩] عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه (ولد ١٩٣٥ م) داعية وعالم مسلم موريتاني، يرأس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي، ويرأس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، ومؤسسة الموطأ في أبوظبي. سبق له أن تولى منصب نائب رئيس الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين قبل أن يستقيل منه سنة ٢٠١٣. اختارته جامعة جورج تاون الأمريكية بوصفه واحدًا من خمسين شخصية إسلامية هم الأكثر تأثيرًا في العالم للأعوام ٢٠٠٩– ٢٠١٦. وقد فاز بلقب «أستاذ الجيل» في جائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي في دورتها السابعة في البحرين.

وهو من شأنه أن يفقدهم ضميرهم الانساني أو وجودهم الخلقي، ولعل هذا ما تنبه إليه الفيلسوف ''إيمانويل كانت'' في كتابه ''مشروع للسلام الدائم'' عندما دعا إلى إلغاء الجيوش الدائمة إلغاء تاما، وخلص إلى :''أن استئجار الناس لكي يقاتلوا أو يقتلوا معناه فيما يبدو اننا نعاملهم معاملة الآلات المحضة أو الأدوات في يد غيرهم''.

وقد نتج عن هذا التعصب الأعمى للجماعة الضيقة على حساب غيرها من الجماعات الأخرى تاريخ طويل من الصراع والحروب؛ وانتج تراثا هائلا من ثقافة الموت والحقد والكراهية؛ التي تتنافى مع الرحمة والعدل والسلم والأخوة الإنسانية الجامعة، وهو ما يتجلى في أدب ''الملاحم'' واعتبار الموت في معمعان الحرب شرفا، والمبالغة في سفك الدماء بطولة، والجنوح إلى السلم مذلة، فلما جاء الإسلام أحدث قطيعة حضارية شاملة مع هذه الثقافة التي كانت مترسخة في الاذهان، وقيمها المتمثلة في ''الشجاعة'' وعشق القتال والحرب؛ وهو ما يعد ثورة ثقافية كبرى في ذلك المجتمع القبلي الجاهلي الذي كان يتباهى بالشجاعة و''الفتكة البكر''؛ قال تعالى: { ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم }، فكان الإسلام – بذلك – مجددا لرسالات الأنبياء من قبله، ومصدقا لها، كما ورد في الانجيل على لسان عيسى –عليه السلام – :'' أحبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم و صلوا لأجل الذين يسيئون اليكم و يطردونكم''.

لقد صاغ الإسلام عقائده وعباداته وشرائعه وأخلاقه وفق رؤية حضارية تنشد السلم في أسمى معانيه، باعتباره هو الأصل الذي يجب أن يحكم علاقة البشر ابتداء،. والهدف الذي يتعين عليهم التحرك لتحقيقه. { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا}

وإذا كانت ضرورات الاجتماع البشري قد فرضت على المسلمين إقامة دولة في المدينة المنورة لتسيير شؤون الجماعة المسلمة بعد تشعبها واتساعها، فإن الاسلام إنما أذن لهم – على سبيل الاستثناء – في دفع الظلم والعدوان فقط، وحرم عليهم تجاوز ذلك حتى لا يتوسعوا في

الحرب؛ بل إنه أمر هم بالإحسان إلى الأسرى، والبر بالمخالفين الذين لم يقاتلوهم في الدين؛ وهو ما يتنافى مع ثقافة الثأر والانتقام التي كانت سائدة.

لكن الحروب التي اشتعلت بين المسلمين وبين أعدائهم – عبر التاريخ – والتي توجت بالاستعمار الاوربي، وجهاد حركات التحرر في العالم الإسلامي، ستنتج أراء واجتهادات يمكن – إذا ما نزعت من سياقها التاريخي وملابساتها السياسية والاجتماعية – أن تكون "حاضنة ثقافية للعنف" كما هو الحال بالنسبة إلى بعض الأقوال المبعثرة في كتب التراث القديمة التي لم يتحرر مؤلفوها من ضغط اللحظة الآنية التي عاشوها، وثقل التاريخ الذي تنوء به كواهلهم، ولم يكلفوا أنفسهم عناء التنظير لفقه السلم والتعايش بين الناس: (ما ينبغي ان يكون) انطلاقا من قواعد الشرع العامة المجردة : (وحدة الأصل الإنساني، ووجوب إقامة العدل، ونشر الرحمة، وحفظ السلم، و مراعاة الأخوة الإنسانية، وتحريم الاعتداء)؛ بسبب تأثرهم بواقع الصراعات اليومية فغرقوا في التنظير للجهاد والفتح والدفاع عن الجماعة، انطلاقا من ذلك الواقع التاريخي، الذي ساد فيه:

– انعدام الثقة بين شعوب المعمورة نتيجة غياب التواصل الثقافي والاجتماعي، ووجود المصالح المشتركة، والاحساس بوحدة المصير : "غياب التعارف".

– سيطرة نشوة النصر والشعور بالاستعلاء على بعض المؤلفين وهو ما نجد صداه في القول بان آية السيف "نسخت كل موادعة في القرآن أو مهادنة وكل شيء من العفو والصلح والصفح"، ووجوب جهاد الطلب على المسلمين كل سنة.

– هيمنة عقدة الشعور بعدوانية الآخر والاعتقاد بحتمية استمرار الصراع الأزلي بين سكان المعمورة.

ولما اضمحلت قوة "الخلافة الإسلامية" في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حتى اختفت نهائيا، وتغيرت معطيات الواقع، وطبيعة الدول وموازين القوة، وانتقل المسلمون من أمة "فاتحة" منتصرة إلى أمة "مغزوة" ؛ ثم تجدد أمل البشرية في "إرساء سلام عالمي" على أساس الاحترام المتبادل، وجد علماء المسلمين أنفسهم أمام واقع جديد مما أدى إلى انقسامهم إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: ارتأى أن يراجع الاجتهادات الفقهية التي شكلت الأساس الفكري الذي قام عليه تصور المسلمين للعلاقة مع الآخر عبر الحقب التاريخية الماضية إعمالا للقواعد الشرعية المحكمة، واستجابة لهذه التحولات الثقافية والسياسية والاقتصادية، فعملوا على إحداث قطيعة معرفية مع كثير من مقولات ''الفقه السلطاني'' الموروث، ومن هؤلاء العلامة المجدد الشيخ عبد الله بن بيه رئيس منتدى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة بأبو ظبي .

الاتجاه الثاني : واصل تشبثه بجميع مقولات الفقه السلطاني الموروث، بسبب الخلط الحاصل لديه بين مقولات السلف الاجتهادية ومواقفهم التاريخية، وبين المنهج المعرفي الذي اعتمده علماء السلف في التعامل مع النصوص فهما واستنباطا وتنزيلا على الواقع.

لكن الحاضنة الثقافية للتطرف العنيف ستزداد شراسة؛ بسبب إصرار الاتجاه الأخير على التمسك بأرائه، واصداره لمؤلفات فقهية تدافع عن رأيه في السلم والحرب والعلاقة مع الآخر، فضلا عن الكتب الحركية الكثيرة – التي ألفت في القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين– في أجواء المحن والسجون، مما جعل مؤلفيها ينظرون للمفاصلة والصراع والتكفير ، وعملوا على توظيف التراث الاسلامي بشكل انتقائي خدمة لأيديولوجيتهم، بل إنهم أعادوا تأويل النصوص الشرعية كلها حسب مصالح ''التنظيم''، وصراعاته السياسية، بعد أن أحلوا ''التنظيم السري'' ومصالحه الضيقة، محل الأمة الإسلامية ومصالحها العامة، حتى إنهم قاموا بأدلجة جميع الفقهاء المجددين، والعلماء المصلحين عبر التاريخ الإسلامي ليكونوا ناطقين باسم أيديولوجيتهم الغريبة على التراث الاسلامي، وعملوا على تكوين الشاب المسلم الحركي ، وهو شخص يميل إلى(العزلة ، والتعصب والاستعلاء والاستبداد في الرأي، والمثالية ، والطاعة للتنظيم)

إن تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة – والسلم كما قال الشيخ عبد الله بن بيه : '' حالة تسود فيها الطمأنينة النفسية والروحية والسكينة بين أفراد المجتمع لتنعكس على العلاقات بين الأفراد والجماعات...وتتمظهر في التضامن والتعاون لإيصال النفع إلى

الجميع ودرء الضر عن الجميع وتتجلى في اللغة والسلوك والمعاملة، فلا عنف في اللغة ولا اعتداء في السلوك ولا ظلم في المعاملة'' – يقتضي عملا مزدوجا يتجه إلى :

– ''تجديد الخطاب الاسلامي؛ طالما كان ذلك بغاية السمو بدين الرحمة والإنسانية والخوض في غمار المنهجية العلمية والعملية '' كما يقول الشيخ عبد الله بن بيه؛ لأن مكمن الخطر يوجد في ''المنهج المعرفي'' وطريقة التعامل مع النصوص، وإهمال مقاصد الشريعة، وجهل ''صناعة الفتوى''؛ ولن يتم ذلك ما لم يكم هناك تجديد للمنهج المعرفي، وتغيير لطريقة التفكير أو الاجتهاد، وهو ما يستلزم التخلي عن الرؤية التجزيئية التي تعول على الفهم الجزئي للشريعة وتركز على ''الدليل المنفصل''، بعيدا عن القواعد الشرعية الحاكمة، والمقاصد الكلية الناظمة، والقيم الاسلامية الموجهة، والسياق التاريخي المحدد، وطبيعة النظام الاجتماعي الذي كان سائدا وقت ورود الدليل الجزئي، والنظام الاجتماعي الذي يراد تنزيل هذا الدليل عليه مرة أخرى، لأن هذه المنهج هو نفسه الذي أنتج فكر هذه الجماعات المتطرفة بالأمس، ولا يمكن أن يصبح منقذا من تطرفها أو علاجا لانحرافها اليوم. وهذا ما نبه عليه الشيخ عبد الله بن بيه بقوله إن قسما ممن تصدى للفكر المتطرف : ''رام مقارعة الأدلة الجزئية بمثلها، فتبنى منهجهم الجزئي، ورد بجزئي على جزئي، وبظاهر على ظاهر، فلم يصنع شيئا''

– تفكيك خطاب العنف والتطرف؛ وهو ما يستدعي ''ضرورة إماطة اللثام عن زيف التوكؤ على الإسلام من خلال استشهادات مجتزأة خارج السياق الزماني والمكاني والإنساني، ومعزولة عن بقية النصوص التي تفسر غموضها وتقيد إطلاقها، وتخصص عمومها، وترد جزئيها إلى كليّها'' كما ورد في كلمة الشيخ العلامة عبد الله بن بيه في الملتقى الثاني لتعزيز السلم.

– تعزيز التنمية في المجتمعات المسلمة وتحقيق العدل، والقضاء على الظلم والبطالة والتهميش والحرمان.

نستخلص من هذا أن خطاب التطرف العنيف وجد في ''التراث الفقهي '' الذي لم تتم ''غربلته'' ثغرتين استطاع أن يوظفهما في بناء أيديولوجيته الدينية المتطرفة وهما:

– منهج احتزائي يقيم الدليل الجزئي مقام استقراء النصوص، والاحتكام إلى قواعد الأصول، ومقاصد الشرع، وحكمة الشارع. ومصالح الخلق، وقيم الإسلام، وتعقيدات الواقع.

– فتاوى فقهية ظرفية كان لها سياقها التاريخي وملابساتها السياسية والاجتماعية التي أنتجتها، ولا يجوز تعميمها في كل زمان ومكان.

وبما أن ''فكر التطرف العنيف'' في صراع سياسي وفكري فإنه لا يبحث إلا عن ''أقوال'' تساعده في تحقيق أهدافه الدينية والسياسية؛ وكسب هذا الصراع؛ وهذا ما جعله يستغل هاتين الثغرتين بعناية، ثم أضاف إليهما مصادرة مواقف الصحابة وعلماء السلف لجعلهم مبشرين بالتطرف العنيف وداعيين إليه، يقول الدكتور سيد امام الشريف أحد أبرز المنظرين للفكر المتطرف: '' والخلاصة أن الحكم بكفر أنصار الطواغيت الممتنعين على التعيين قد ثبت بإجماع الصحابة إجماعا قطعيا ليس فيه منازع، ومثل هذا الإجماع يكفر مخالِفُهُ، فمن خالف في هذا الحكم فقد كَفَر واتبع غير سبيل المؤمنين وفارق جماعتهم'' (كتاب طلب العلم الشريف ٢/ ٦٧٦)، وكأن الصحابة الذين عاشوا قبل الف وأربعمائة سنة في مجتمع بدوي قبلي، وكيان اجتماعي وسياسي موحد، يعيشون بين أظهرنا الان في هذا المجتمعات الصناعية المعقدة، والكيانات الاسلامية المتعددة.

إن الرد على هذا الفكر يجب أن ينطلق – كما قال الشيخ عبد الله بن بيه – من ضرورة ''الخوض في غمار المنهجية العلمية العميقة، التي من شأنها أن تفكك بنى الإرهابيين وتنقض عرى ما عقدوه''. وهو ما يحتاج – كما يقول الدكتور طه جابر العلواني – إلى '' مراجعات شاملة للأصول والفروع والمنهج، بحيث يترتب عليها تصحيح مناهج النظر في الأصول والقواعد والمنطلقات '' .

الخاتمة

بعد رحلة البحث يتلخص البحث في نقاط:

معنى جنح:

(ج ن ح) : جنح إلى الشيء يجنح بفتحتين وجنح جنوحا من باب قعد لغة مال وجنح الليل بضم الجيم وكسرها ظلامه واختلاطه وجنح الليل يجنح بفتحتين أقبل وجنح الطريق بالكسر جانبه وجناح الطائر بمنزلة اليد من الإنسان والجمع أجنحة .

السلم:

(سلم) السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية ; ويكون فيه ما يشذ، والشاذ عنه قليل، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى. قال أهل العلم: الله جل ثناؤه هو السلام ; لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء.

تفسير الآية :

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ} [الأنفال: ٦١] وقيل للأضلاع: جوانح؛ لاعوجاجها. قال ابن دريد: معنى {لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} أي: لا ميل إلى مأثم. وجناح الطائر من هذا؛ لأنه يميل في أحد شقّيه، ليس على مستوى خلقته، فمعنى الجناح: الميل عن الحق.

السلم:

١. حالة من الهدوء والاستقرار.

٢. غياب الصراع والعنف.

٣. تعايش سلمي بين الدول أو الجماعات.

٤. تحقيق الاستقرار والسلام.

السلم والحرب:

الحرب

١. صراع مسلح بين الدول أو الجماعات.

٢. استخدام القوة للتحكم أو الاستيلاء.

٣. تدمير وتخريب البنية التحتية.

٤. خسائر بشرية ومادية.

وقال أبو علي الجرجاني: معنى {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ} أينما ذكر في القرآن: لا ميل لأحد عليه بمطالبة شيء من الأشياء، هذا هو الأصل، ثم صار معناه: لا حرج عليه، ولا ذنب عليه.

والحمدلله أولا وأخيرا ، على تمام النعمة ، وتيسير كل خير،
تم الانتهاء بتاريخ ٢٠٢٥/١/٨م
يوافق ٨ من شهر رجب ١٤٤٦هـ.
اندونيسيا ، جاوة الوسطى ، سولو ، توانغ منغو .

